كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، عند وضع حجر أساس مشروع مزرعة التنمية الاجتماعيّة الاقتصاديّة "سروة : مزرعة القدّيس يوسف الإجتماعيّة"، على أرض تابعة للجامعة في تعنايل، يوم السبت الواقع فيه 4 أيلول (سبتمبر) 2021 في الساعة الحادية عشرة من قبل الظهر.

ها نحن مجتمعين، "بسمة" وجامعة القدّيس يوسف في بيروت، بعد الكثير من الجهود المشتركة، والذهاب والإيّاب، من أجل توطيد تعاوننا، وبالتالي، لنضع معًا اليوم الحجر الأساس لهذا المشروع الرائع الذي منحتموه الاسم الرائع "سروة"، و"بسمة"، بسمة الأمل والثقة، لا بل الإيمان الذي سبق وتمّ توفيرهما إلى أولئك واللواتي سيستفيدون من هذا المشروع، مشروع إنشاء مزرعة إجتماعيّة باتّجاه تنمية إجتماعيّة وإقتصاديّة، هنا بالذات، في سهل البقاع الرائع والسخيّ، على هذه البقعة التابعة لجامعة القدّيس يوسف في بيروت. باللغة العربيّة، كلمة "سرو(ة)" تقترب من ثروة، غنى، ممّا يتيح لنا القول إنّ الرغبة في بدء مشروع المزرعة الاجتماعيّة والاقتصاديّة هذا لا يمكن إلا أن يهب كنزًا ماديًّا، لا بل المزيد من المحبّة والتعاون بين أولئك الذين سيعملون فيه. يسعدنا أنّ هذا المشروع الذي بلورته ساندرا خلاط وفريقها رأى النور وذلك لعدّة أسباب :

السبب الأوّل هو أنّه من خلالك، عزيزتي ساندرا، ومن خلال منظّمتك غير الحكوميّة "بسمة" وهذا المشروع، مشروع تنمية قدرات (تمكين) الأشخاص الذين يعملون فيه ويأملون في ازدهاره، تعتزم الجامعة تنفيذ مهمّتها الثالثة وهي المساعدة على التنمية الشاملة الاجتماعيّة والاقتصاديّة للمجتمع البشريّ والمواطنين. سبق لجامعة القدّيس يوسف في بيروت أن أولت أهميّة كبيرة لهذه المهمّة، وهو التحدّي الذي تواجهه جامعة القدّيس يوسف في بيروت من خلال عمليّة اليوم السابع وخلايا الطلاب والمعلّمين التابعة لها، من خلال "جامعة القدّيس يوسف في مهمّة"، ومن خلال مشاريع للمساعدة في إعادة بناء ما تهدّم وضمان استمرار بقاء العديد من العائلات من خلال تزويدها بالغذاء والدواء. إنّ مجلس الجامعة المصغَّر في الجامعة، بقبوله هذا المشروع من أجل تركيب وسائل الإنتاج الزراعيّ ومعدّاته، أخذ بالاعتبار هذه المهمّة والحرص على تعزيزها وترجمتها إلى واقع ملموس ؛ من هنا، صحيح أنّني أعطيتُ الضوء الأخضر من خلال توقيع إتّفاقيّة حقّ الانتفاع من هذه الأرض من خلال مشروع "بسمة" هذا، إلا أنّ الجامعة حريصة جدًّا على أن تكون شريكة بمساندتها هذا المشروع.

السبب الثاني لاهتمامنا هو روحيّ حيث سيتمّ تشييد كنيسة صغيرة باسم القدّيس يوسف في هذه المزرعة بحيث يحمي ظلّ القدّيس يوسف والعائلة المقدّسة هذا المشروع ويمنحه جميع الوسائل والموارد البشريّة والماديّة الجيّدة كي ينجح. ما يوحّدنا في "بسمة" ليس فقط الجانب الاجتماعيّ والمتعلّق بالمواطنة للمشروع، بل أكثر من ذلك، تلك المحبّة تجاه العائلة اللبنانيّة والمسيحيّة التي نبغي دعمها وترسيخها، خاصّةً في هذه الفترة الصعبة للغاية التي نعيشها في بلدنا، وهو وضع مفعم بالمخاطر في ما يتعلّق بصلابة الأسرة وديمومتها. يمكننا أن نستدعي القدّيس يوسف، شفيع العائلة المقدّسة والعائلة المسيحيّة، ليكون لنا ول"بسمة" مصدر إلهام وإرادة من أجل مساعدة عائلاتنا التي تجد نفسها مضعضعة بسبب الهجرة والأزمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي يصعب تحمّلها.

ولنقل أيضًا إنّ فرحتنا الروحيّة والاجتماعيّة المشتركة لا تقوم فقط على هدف التنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة من خلال المزرعة التي سيتمّ إنشاؤها هناك، بل أيضًا على إرادة الجامعة للاستفادة من هذه المنصّة كمجال تطبيق لطلابنا لبعض البرامج الأكاديميّة في معهد الهندسة الزراعيّة العالي لدول البحر الأبيض المتوسّط ومعهد إدارة الأعمال، من خلال معهد إدارة الأعمال التابع له. اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، لا يمكن أن يكون التعليم الجامعيّ مثاليًّا وفعّالًا إن لم يُخضع الطالب معرفته النظريّة للاختبار على أرض الممارسة، وبالتالي، فإنّه يطوّر مهاراته اللازمة لحياته المهنيّة.

يتطلّب تحقيق هذا المشروع إلتزام العديد من الأشخاص من قِبَل "بسمة" وجامعة القدّيس يوسف ؛ أودّ أن أشكر، من دون أن أذكرهم، الفِرَق القانونيّة من كلا الجانبَين، الذين عملوا بعزم وصبر لإتقان نصّ الاتّفاقيّة وجميع الأشخاص، وخاصّةً المحسنين والرجال والنساء ذوي النوايا الحسنة، من كلا الجانبَين، الذين التزموا حتّى يبصر حلم "بسمة" هذا النور في امتلاك هذه المزرعة النموذجيّة تكريمًا للعائلة اللبنانيّة، ويصبح مركزًا للنجاح والنور.

أصدقائي الأعزّاء، إنّ وضع حجر الأساس هذا المشروع وبناءه هو حتمًا علامة أمل وتصميم على أنّ هذا البلد هو بلدنا، وأنّ لبنان هذا ليس مكانًا يجب الهروب منه، ولكن يجب بناؤه باستمرار. الكلمات التي تعطي الأمل جيّدة لا بل الخطابات عن إيماننا ببلدنا جيّدة جدًّا ؛ لكن العلامة الحقيقيّة للمقاومة، الإعلان الحقيقيّ لإدانة الفساد وانحلال الدولة اللبنانيّة هو هذا النوع من المشاريع النبويّة التي تُعلن عن الارتداد الحقيقيّ والولادة الثانية الحقيقيّة للبنان الألفيّة الثانية.

هذه الولادة الثانية، جبران خليل جبران يؤكّد عليها بإشارته إلى بنّائي لبنان الحقيقيّين :

"هم البنَّاءون والفخَّارون والحائكون وصانعو الأجراس والنواقيس.

هم الشعراء الذين يسكبون أرواحهم في كؤوسٍ جديدة، وهم شعراء الفطرة الذين ينشدون العتابا والمعنّى والزجل.

هم الذين يغادرون لبنان وليس لهم سوى حماسة في قلوبهم وعزم في سواعدهم، ويعودون إليه وخيرات الأرض في أكُفِّهم وأكاليل الغار على رؤوسهم.

هم الذين يتغلّبون على محيطهم أينما حلّوا، ويجتذبون القلوب إليهم أينما وُجدوا.

وهم الذين يولدون في الأكواخ، ويموتون في قصور العلم.

هؤلاء هم أبناء لبنان. هؤلاء هم السُّرُج التي لا تطفيها الأرياح، والملح الذي لا تفسده الدهور.

هؤلاء هم السائرون بأقدامٍ ثابتة نحو الحقيقة والجمال والكمال."

في قلب لبنان الجديد هذا، المؤسّسات التربويّة المدرسيّة والجامعيّة، وكذلك منظّمات المجتمع المدنيّ غير الحكوميّة، تمثّل الإرادة الحازمة من أجل العمل بروح المواطنة من أجل الشعب اللبنانيّ بأكمله، من دون تمييز أو تفضيل، باستثناء الجدارة والحاجة. إنّ الانتقادات غير المبرّرة للبعض ضدّ جمعيّات المجتمع المدنيّ هي للأسف مجرّد صدى لانحطاط الخطاب السياسيّ والممارسة السياسيّة التي لم تعد في خدمة كرامة الناس والمواطنين. فبدلًا من أن تكون السياسة رافعة للتقدّم، هي اليوم مجرّد نوع من دفن فكرة لبنان كرسالة رفاهية، وعدالة، وأخوّة وحريّة. إلّا أنّ مشروع "بسمة" هو غمزة عين وغمزة ابتسامة يتابعه لبنان على الرغم من آلام اللحظة الحاليّة وضيقها، فهو مستمرّ كلبنان القيم، واستدامة الأسرة والجمال والإيمان.